وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2-

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم النفس

محاضرات في مقياس المنهجية وتقنيات البحث

سند بيداغوجي موجه لطلبة السنة الثانية ليسانس

جذع مشترك علم النفس

تقديم الأستاذ: عبد الحميد عشوي

السنة الجامعية: 2019- 2020

سم ولقب الأستاذ: عبد الحميد عشوي
لمقياس: منهجية وتقنيات البحث
وع الوثيقة: 04 محاضرات
لفئة المستهدفة من الطلبة: ليسانس
لمستوى: السنة الثانية علم النفس
لمجموعة د + الفوج 2
لتخصص: علم النفس
لوثيقة: سند بيداغوجي
اريخ التسليم: الثلاثاء 31 مارس 2020

م-ق-دم-ة

المنهجية تحمل معنيين، معنى واسع ومعنى ضيق، المعنى الواسع يضم المنهجية في مفهومها الشكلي والإجرائي والموضوعي، أما المعنى الضيق فيضم المنهجية في مفهومها الموضوعي.

فالجانب الشكلي لعلم المنهجية يتعلق بالمرحلة الأخيرة في إعداد البحث العلمي، وهي مرحلة كتابة البحث وإخراجه في صورته النهائية وهو المعنى الشائع للمنهجية. أما الجانب الإجرائي أو العملي فيهتم بدراسة الإجراءات العملية التي تساعد الباحث في عملية جمع المعلومات، والأمر هنا يتعلق بالبحوث الميدانية التي تعتمد على العينات وأدوات جمع البيانات من استبيان وملاحظة ومقابلة واختبار وغيرها.

أما الجانب الموضوعي لعلم المنهجية فهو الذي يتعلق بطريقة التفكير، أي الجانب الذي يضع مجموعة المبادئ والقواعد التي تحكم سير العقل الإنساني في بحثه عن الحقيقة، ويدرس هذا الجانب مختلف المناهج التي وضعها علماء المناهج وهو الأمر الذي تم التركيز عليه خلال السداسي الثاني من خلال تناول أهم مناهج البحث في علم النفس والتي يتم تقديمها في هذا السند ضمن أربع محاضرات رئيسة.

على اعتبار أن المحاضرات موجهة لطلبة السنة الثانية علم النفس، فقد روعي فيه تبسيط الشرح وإيراد شروحات مختصرة للمصطلحات والعبارات المستخدمة في مناهج البحث، ولتعزيز تلك الشروحات يجد الطالب أمثلة تطبيقية، روعي أن تكون مقتبسة من الواقع العملي والدراسات الفعلية بقدر الإمكان.

المحتويات

مقدمة

تمهيد

1- تعريف البحث العلمي

2- أنواع البحث العلمّي

3- خصائص البحث العلمي

تمهيد

2- ميزات المنهج العلمّي

3- الخطوات المنهجية للبحث العلمّي

4- صفات الباحث العلمي

تمهيد

1- مرحلة اختيار الموضوع

2- مرحلة جمع الوثائق والمعلومات

3- مرحلة القراءة

4 – مرحلة تقسيم الموضوع

5 – مرحلة تدوين المعلومات

6 – مرحلة الكتابة.

تمهيد

1- الشعور والإحساس بمشكلة البحث

2- مصادر التعرف على مشكلة البحث

3- أهمية الدراسات السابقة في الحصول على مشكلة البحث

4- مميزات الدراسات والأبحاث السابقة

5- مواصفات المشكلة الجيدة

6- أصالة المشكلة

1- ماهية تحديد مشكلة البحث

2- تحديد أهمية المشكلة

3- صياغة المشكلة

4- طرق صياغة المشكلة

تمهيد

أولا ً: تساؤلات البحث
ثانيا: الفرضيات
1- **صياغـة الفرضيّات**
2- **أنواع الفرضيات**
3- **مصادر الفرضية**
4- **شروط صياغة الفرضيات الجيدة**
1- **أسباب اختيار البحث**
2- **تحديد أهمية البحث**
3- **تحديد أهداف البحث**
تمهيد
1- **عنوان البحث**
2- **تحديد المفاهيم**
3- **حدود البحث**
4- **قصور البحث**
تمهيد

1- أدبيات البحث

2- الدراسات السابقة

3- معايير اختيار الإنتاج الفكري

4- دلالات مراجعة الإنتاج الفكري

تمهيد

1- أنواع مناهج البحث

2- أهمية استخدام مناهج البحث في إختبار الفرضيات

3- تصنيف البحوث السيكولوجية والتربوية على أساس المعيار الزمني

4- مناهج البحث الكمية والكيفية

5- مناهج البحث في علم النفس

1- تعريف المنهج التجريبي

2- أهمية المنهج التجريبي في البحوث السيكولوجية

3- عملية ضبط المتغيرات في التصاميم التجريبية

تمهيد

1- أهمية المنهج الوصفيّ في البحوث السيكولوجية والتربوية

2- خصائص المنهج الوصفي و مرتكزاته

3- أنواع الدراسات الوصفية

3-1- الدراسات المسحية

3-2- دراسات العلاقات المتبادلة

3-2-1- دراسة الحالة

3-2-2- الدراسات السببية المقارنة

3-2-2- الدراسات الارتباطية

3-3- دراسات النمو والتطور

4- الانتقادات الموجهة للمنهج الوصفي

تمهيد

1- خصائص المنهج العيادي (الإكلينيكي)

2- مبررات استخدام المنهج العيادي

3- الانتقادات الموجهة للمنهج العيادي

4- ملاحظات عامة عن مناهج البحث

قائمة المراجع

المحاضرة العاشرة: مناهج البحث في العلوم السلوكية

تمهيد

عند فراغ الباحث من مراجعة الثرات الفكري (الأدب العلمي)، من أدبيات الدراسة و الدراسات السابقة، يفرد فصلا خاصا بالإجراءات المنهجية للبحث، والتي يقصد بها الطريقة التي سوف يسلكها الباحث في معالجة موضوع بحثه لإيجاد

حلولٍ لمشكلة بحثه، ومن بين أهم تلك الإجراءات تحديد **المنهج المناسب للدراسة**، فلا بدّ من الإشارة في الجانب النظريّ والإجرائيّ من الدراسة إلى المنهج أو المناهج التي يرى الباحثُ أنّها الأصلح لدراسته، فلا يكفي أن يختارها ويسير في دراسته وفقها دون أن يشير إليها، لذلك يجب عند كتابة منهج البحث أن يراعي الباحث ما يلـي:

- أن يكون منهج البحث منظّماً بحيث يتيح لباحث آخر أن يقوم بنفس البحث أو يعيد التجارب ذاتها التي قام عليها منهج البحث.

- أن يوضّح الباحثُ للقارئ ما قام به من إجراءات وأعمال ونشاطات ليجيبَ عن التساؤلات التي أثارتها المشكلة موضوع البحث.

والمقصود هنا أن يحدّد الباحث بدقّة وموضوعيّة المشكلة التي قام بدراستها وأن يحدّد الأساليب والطرق والنشاطات التي اتّبعها لإيجاد حلولٍ لها بحيث لا يترك لبساً أو غموضاً في أيّ من جوانبها؛ وهذا يتطلّب معرفة الإجراءات التي عملها وقام بها قبل إنجازه بحثه أو دراسته، وهي:

1- تخطيط كامل لما سيقوم به وما يلزمه من أدوات ووقت وجهد.

2- تنفيذ المخطّط بدقة بحسب تنظيمه مع ذكر ما يطرأ عليه من تعديلات بالزيادة أو بالحذف في حين حدوثها.

3- تقويم خطوات التنفيذ بصور مستمرّة وشاملة حتى يتعرّف الباحث على ما يتطلّب تعديلا ً دونما أيّ تأخير أو ضياع للوقت أو الجهد.

وعلى هذا فعليه ألا ّ يحذف الباحث أيّة تفصيلات مهما كانت غير مهمّة أو غير لازمة من وجهة نظره، لأنّ حذفها ربّما أثّر على عدم إمكانيّة باحث آخر بإعادة عمل البحث؛ وهذا يعدُ من المآخذ التي تؤخذ على البحث وعلى الباحث، (القاضي، 1404هـ، ص52)، فقد أشار إلى ذلك أندرسون Anderson (1971) بقوله إنّ أفضل طريقة لتقويم أيّ بحثٍ بصورة عامّة والمنهج المستخدم فيه بصورة خاصّة هو البحث عن مدى استطاعة باحث آخر أن يكرّر عمل البحث الذي قام به الباحث الأ وّل مستعيناً بالمخطّط الذي وضعه الباحث الأول وما وصفه من طرق اتّبعها في تطبيقه أم لا (الواصل، 1999، ص 35).

ومن هنا تظهر أهميّة الاهتمام بمنهج البحث المتبّع من قبل الباحث إذْ لا بدّ من شرحه الكيفيّةَ التي يطبّق بها منهج دراسته فيصف أموراً، (محمود، 1972، ص71) منها الآتي:

1) تعميم نتائج بحثـه.

2) المنطق الذي على أساسه يربط بين المادة التجريبيّة والقضايا النظريّة.

3) أفراد التجربة أو مفردات مجتمع البحث.

4) العيّنة في نوعها ونسبتها وأساليب اختيارها وضبطها.

5) وسائل القياس (أدوات جمع البيانات) المستخدمة في البحث.

6) الأجهزة المستخدمة (إن وجدت) في البحث.

وعموماً إنّ وصف تلك الأمور يساعد الباحثين الآخرين على تتبُّع طريق الباحث الأول وتفهُّم ما يرمي إليه وما يتحقّق لديه من نتائج وما صادفه من عقبات ومشكلات وكيفيّة تذليلها من قبله، (القاضي، 1404هـ، ص53).

1- أنواع مناهج البحث:

استخدم الإنسان منذ القدم في تفكيره منهجين عقليّين، هما:

- التفكير القياسيُ: ويسمّى أحياناً بالتفكير الاستنباطيّ، استخدم الإنسان هذا المنهج ليتحققَ من صدق معرفة جديدة بقياسها على معرفةٍ سابقة، وذلك من خلال افتراض صحّة المعرفة السابقة، فإيجاد علاقة بين معرفةٍ قديمة ومعرفةٍ جديدة تُسْتَخْدَمُ قنطرةً في عمليّة القياس، فالمعرفـةُ السابقة تسمّى مقدّمة والمعرفة اللا حقة تسمّى نتيجة، وهكذا فإنّ صحّة النتائج تستلزم بالضرورة صحّة المقدّمات، ف التفكير القياسيُ منهج قديم استخدمه الإنسان ولا يزال يستخدمه في حلّ مشكلاته اليوميّة.

- **التفكير الاستقرائيُ:** استخدم الإنسان أيضاً هذا المنهجَ ليتحقق من صدق المعرفة الجزئيّة بالاعتماد على الملاحظة والتجربة الحسيّة، فنتيجةً لتكرار حصول الإنسان على نفس النتائج فإنه يعمد إلى تكوين تعميمات ونتائج عامّة، فإذا استطاع الإنسان أن يحصرَ كلّ الحالات الفرديّة في فئة معيّنة ويتحقق من صحّتها بالخبرة المباشرة

عن طريق الحواس فإنه يكون قد قام باستقراءٍ تامٍّ وحصل على معرفة يقينيّة يستطيع تعميمها دون شكٍّ إلا ّ أنه في العادة لا يستطيع ذلك بل يكتفي بملاحظة عددٍ من الحالات على شكل عيّنة ممثِّلة ويستخلص منها نتيجةً عامّة يفترض انطباقها على بقيّة الحالات المشابهة وهذا هو الاستقراء الناقص الذي يؤدّي إلى حصوله على معرفةٍ احتماليّة، وهي ما يقبلها الباحثون على أنّها تقريب للواقع، (عودة؛ ملكاوي، 1992، ص 12-11).

وعموماً تتعدّد أنواع المناهج تعدّداً جعل المشتغلين بمناهج البحث يختلفون في تصنيفاتهم لها، فيتبنّى بعضهم مناهج نموذجيّة رئيسة ويعدُّ المناهج الأخرى جزئيّة متفرّعة منها، فيما يعدُّ هؤلاء أو غيرهم بعض المناهج مجرد أدوات أو أنواع للبحث وليست مناهج، (بدر، 1989، ص181)، ومن أبرز مناهج البحث العلميّ كما أشار إليها بدر (1989) بعد استعراضه لتصنيفات عدد من المؤلِّفين والباحثين المنهجُ الوثائقيُّ أو التاريخيُّ، المنهجُ التجريبيُّ، المسحُ، دراسةُ الحالة (بدر، 1989، ص186) .

2- أهمية استخدام مناهج البحث في اختبار الفرضيّات:

إنّ ما يهمُّ الباحثين في دراساتهم هو عمليّات اختبار فرضيّاتهم، وهي ما تركِّز عليها طرق ومناهج البحث، فالطرق والمناهج المستخدمة في حلّ مشكلات البحوث ذات أهميّة بالغة؛ لأنّ استخدام المناهج الخاطئة لا توصِّل الباحث إلى حلٍّ صحيح إ لا ّ بالمصادفة، وعلى ذلك فإنّ الباحثَ يجب أن يتقن المناهج التي ثبت نجاحها في مجاله العلميّ، وأن يكتسب مهارة استخدامها بالممارسة العمليّة بالدرجة الأولى، واختيار المناهج الصحيحة يعتمد على طبيعة مشكلة الدراسة نفسها؛ ذلك أن المشكلات المختلفة لا يتمُّ حلُّها بنفس الطريقة، كما أنّ البيانات المطلوبة للمعاونة في الحلّ تختلف بالنسبة لهذه المشكلات أيضاً، ونتيجة لذلك فينبغي قبل اختيار المنهج البحثيّ الصحيح أن يدرس الباحث مشكلة دراسته في ضوء خواصّها المميّزة و البيانات والمعلومات المتوفِّرة، (بدر، 1989، ص188).

ومناهج البحث باعتبارها لازمة لاختبار الفرضيّات تتضمّن الخطوات الرئيسة التالية:

1- تحديد وتعيين مكان البيانات والمعلومات الضروريّة وتجميعها فهي تشكِّل الأ ساس لأيّ حلٍّ لمشكلة الدراسة.

2- تحليل وتصنيف البيانات والمعلومات المجموعة وذلك للوصول إلى فرضٍ مبدئيّ يمكن اختباره والتحقق من صحّته أو من خطئه.

وتنبغي الإشارة إلى أنّه من المرغوب فيه في أي دراسة استخدام منهجين أو أكثر من مناهج البحث لحلّ مشكلة الدراسة، فليس هناك من سبب يحول بين الباحث ومحاولة الوصول إلى حلّ مشكلة دراسته بدراسة تاريخها عن طريق فحص الوثائق وهو ما يعرف بالمنهج الوثائقيّ أو التاريخيّ ثمّ تحديد وضع المشكلة في الحاضر بنوع من المسح وهو ما يعرف بالمنهج الوصفيّ، (بدر، 1989، ص189).

و لا شكّ في أنّ هناك ثلاثة جوانب مهمّة في استخدام منهج ما لحلّ مشكلة البحث تتحكم في نتائج الدراسة، هي:

1- **كفاية البيانات**: فعلى الباحث أن يسأل نفسه دائماً وقبل إنهاء دراسته عمّا إذا كان الدليل الذي قدّمه يعدُّ كافياً لتدعيم وتأييد النتائج التي يصل إليها، وما مقدار الثقة فيه؛ ذلك أنّه إذا كان الدليل ضعيفاً أو غير كافٍ فإنّ النتائج لا يمكن اعتبارها مقنعة أو نهائيّة.

2- **معالجة البيانات**: إذ يجب أن ينظر الباحث إلى الدليل بحرص ونظرة ثاقبة للتأكّد من دقّته وأصالته وصدقه، فالأخطاء قد تحدث إذا وجد تضليل في الاستبيان كالأسئلة الإيحائيّة، أو عدم قراءة الوثيقة والاطّلاع عليها اطّلاعاً سليماً، أو عدم أخذ جميع المتغيّرات في الاعتبار، كلُّ هذه الأخطاء يمكن أن تقضي على العمل الدقيق في الدراسة.

3- **استخراج النتائج**: إنّ فهماً يختلف عمّا تحتويه البيانات والمعلومات المعالجة يؤدّي إلى نتائج خاطئة، كما أنّ على الباحث أن يقاوم رغبته في أن يحمّل الدليل ما كان يتمنّى أن يكون فيه، (بدر، 1989، ص 191-190).

3- تصنيف البحوث السيكولوجية والتربويّة على أساس المعيار الزمني:

دأبت معظم المراجع والمؤلفات المتخصّصة بالبحث في ميادين العلوم الا جتماعيّة والنفسيّة والتربوية على تصنيف البحوث في ثلاث فئات، هي: البحوث التاريخيّة والبحوث الوصفيّة، والبحوث التجريبيّة، وقد تمكن أحد الباحثين التربويّين (عودة؛ ملكاوي، 1992، ص 109-108) من تحديد هذا التصنيف من خلا

ال طرحه الأسئلة التالية:

1- هل يتعلّق البحثُ بما كان؟، وعندها يكون البحثُ متعلِّقاً بالماضي فهو بحث تاريخيٌ، ويمكن للمؤرّخ التربويّ أن يسعى للتوصّل إلى وصفٍ دقيق لأحداثٍ فريدة حدثت في الماضي بخصوص موضوعٍ تربويّ معيّن، أو للتوصّل إلى تعميمات مفيدة نتيجة لمسح أحداثٍ ماضية يمكنها أن تفيد في فهم السلوك القائم حاليّاً ويمكن الا عتماد عليها في حلّ مشكلات راهنة.

2- هل يتعلّق البحث بما هو كائن حاليّاً؟؛ أي بتمييز معالم الأشياء أو المواقف أو الممارسات الحاليّة بشكلٍ يسمح للباحثِ بتحديد وتطوير إرشاداتٍ للمستقبل، وعندها يكون البحث وصفيّاً.

3- هل يتعلّق البحث بما يمكن أن يكونَ عند ضبط عوامل معيّنة؟، وعندها يكون البحثُ تجريبياً، ويتمّ من خلال محاولة ضبط جميع العوامل المؤثِّرة في المواقف باستثناء عدد قليل من العوامل التي تعدُ متغيّرات مستقلّة في الدراسة يجري معالجتَها وبيان أثرها وبناء علاقة سببيّة بينها وبين متغيّرات أخرى تسمّى بـ المتغيّرات التابعة.

ملاحظة: يَسْتَكْمِلُ الباحث عادةً عرض مناهج دراسته بإيضاح متغيراتها مبيّناً المستقلّ منها والتابع لها، باعتبار الأولى هي المؤثِّرة بالثانية، وأنّ الثانية يقع عليها التأثير من الأولى فتتغيّر مكانيّاً بتغيُّر الأولى، ففي التحليل الذي هو عماد المنهج العلميّ في البحث تستخدم متغيّراتٌ مستقلّة وهي التي يكون لها دورٌ كبير في وجود وتحديد خصائص المتغيّرات التابعة وتوزيعها، تلك التي هي متغيّراتٌ تتبع للمتغيّرات المستقلّة ويقع عليها منها التأثير فتتغيّر بتغيُّرها سلباً وإيجاباً، وعلى الباحث أن يكون قادراً في البحوث السيكولوجية والتربويّة على التمييز بين المتغيّر والثابت، وأن يصنِّف المتغيّرات بحسب مستوى القياس، وأن يميّز بين المتغيّر المستقلّ والمتغيّر التابع، وأن يميّز بين المتغيّرات المعدّلة والمضبوطة والدخيلة، ليس ذلك فحسب بل وأن يكون قادراً على التعرُّف على الصور المختلفة للتعريفات ا لإجرائيّة، وأن يميّز بين الطرق المتّبعة في ضبط المتغيّرات الدخيلة .

4- مناهج البحث الكمية والكيفية

إن المناهج الكمية تهدف في الأساس إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة، فأغلبية

البحوث في العلوم الاجتماعية تستعمل القياس كم هو الحال عند استعمال النسب، المتوسطات أو الأدوات التي يوفرها الإحصاء بصفة عامة. فتجد الباحث يستنجد بـ المناهج الكمية أثناء محاولته معرفة الارتباط بين ارتفاع نسب الجرائم واستهلاك المخدرات، أو نسبة العنوسة وارتفاع عدد الأطفال غير الشرعيين، أو العلاقة بين سوء المعاملة الوالدية والتسرب المدرسي...الخ.

أما المناهج الكيفية فتهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة. وعليه ينصب الاهتمام أكثر على حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات التي تم م لاحظتها. لهذا يركز الباحث أكثر على دراسة الحالة أو دراسة عدد قليل من الأفراد، فعندما يحاول الباحث معرفة أطوار النمو الحسي الحركي، أو النمو الانفعالي والا جتماعي للطفل أو اضطرابات ما بعد الصدمة التي عايشها أطفال زلزال ماي 2003 ببومرداس أو الذين عايشوا فيضانات باب الواد بالجزائر العاصمة ، فإنه يستعين في ذلك بالمناهج الكيفية.

*** الخلاف بين المناهج الكمية والكيفية:**

ضلت المناهج الكمية ومنذ زمن طويل مناوئة للمناهج الكيفية؛ تعتمد المناهج الكمية على صيغ رياضية للواقع، ونظرا لاستعمالاتها العادية والمتكررة في العلوم الطبيعية، فقد اعتبرت منذ البداية أنها أكثر صرامة وعلمية من المناهج الكيفية، حيث أدى هذا بالعلوم الاجتماعية إلى الاعتقاد ولمدة طويلة "علم النفس التجريبي مثلا" إلى أن نموها ومصداقيتها مرهونان باستعمال أكثر للتكميم في بحوثها. ومع ذلك فإنه لا يمكن إخضاع الظواهر الإنسانية دائما للتكميم؛ لذا فهي ملزمة أيضا باستخدام المناهج الكيفية التي تستعين أكثر بالأحكام، وبدقة ومرونة الملاحظة أو بفهم التجارب التي يعيشها الأفراد.

إضافة إلى ما تقدم، فإن الظواهر الإنسانية والاجتماعية ومهما كانت دقة القياسات الكمية المستعملة في قياسها، ستضل محتفظة ببعدها الكيفي؛ فعند الحديث مثلا عن درجة الرضا الوظيفي أو درجة الإنهاك المهني أو مستوى الشعور بالوحدة النفسية... وهي كلها متغيرات لها قياسات حسابية، فإن المصطلحات المستعملة هي من طبيعة كيفية وتعود لحقائق إنسانية لا تستجيب أبدا للقياسات الكمية التي تمت تهيئتها من أجل ذلك. فالرضا، الضغط النفسي، الإنهاك المهني، الشعور بالوحدة النفسية تشير أصلا إلى تقدير الواقع، ويبقى الحساب ليس أكثر من مجرد تكميم (جابر و كاظم، 1996، بالتصرف)

على العموم يمكن القول أنه ليس من السهل المفاضلة بين استخدام المنهج الكمي والمنهج الكيفي، فكثيرا من مشكلات البحث تحدد بطبيعتها المنهج الأكثر ملا ئمة لبحثها... وهناك على أية حال مجالات في البحوث، يلزم فيها اللجوء إلى توفير البيانات الكمية والبيانات الكيفية التي يثري بعضها بعضا ويدعم بعضها بعضا في فهم الظاهرة المدروسة، بحيث تكوّن قاعدة صلبة في إتخاد قرارات حكيمة لتحسين الممارسات وإجراء التغيرات اللازمة (عبيد، 2003، ص 17).

5- مناهج البحث في علم النفس

يتبع علم النفس عدد من المناهج الأساسية التي تنبع من الاتجاهين الذين تم الإشارة إليهما سابقا. تميل المناهج التي تتبع الاتجاه الأول (الكمي) إلى الأخد بـ المنهج العلمي كما تستخدمه العلوم الطبيعية وتتبع نفس خطواتها، فتبدأ بظاهرة سلوكية معينة تعمل على تحديدها والتعرف على العوامل المؤثرة فيها، ثم افتراض عدد من الفرضيات أو إثارة عدد من التساؤلات حولها، ثم تختبر هذه الفروض وتجيب على هذه التساؤلات وتصل إل عدد من النتائج بشأنها، تم تخضع هذه النتائج للعمليات الإحصائية الدقيقة التي تحدد إمكانية الأخد بها أو رفضها. ومن المناهج التي تسير على هذا النحو المنهج التجريبي والمنهج الوصفي.

أمّا الاتجاه الثاني (الكيفي) فيمثله المنهج الإكلينيكي (العيادي) الذي يميل إلى دراسة الحالات الفردية كما يعيشها الفرد باستخدام الوسائل التي تحقق هذه الغاية

وحيث أنّ المنهج التجريبيّ والمنهج الوصفيّ والمنهج العيادي تعّد أكثر المناهج استخداماً من قبل الباحثين السيكولوجيين فإنّ عرضهما بصورة أوسع من غيرهما من مناهج البحثِ العلميّ قد يكون مطلباً ملحّاً أكثر من غيره في هذا البحث الهادف إلى تزويد الطلبة باحتياجاتٍ تمهيديّة في مجال البحث العلميّ يُتْبِعُونها بجهودهم الذاتيّة بالتوسُّع من مصادر أخرى.

المحاضرة الحادية عشر: المنهج التجريبي

1- تعريف المنهج التجريبي:

يعرف عبيدات وزميلاه (1998) المنهج التجريبي بأنه استخدام التجربة في إثبات

الفروض أو إثبات الفروض عن طريق التجريب (عبيدات وآخرون، 1998، ص280). وحيث أن الدراسات التجريبية تنزع إلى التحكم والضبط والملاحظة الدقيقة، وهذا أقرب إلى طبيعة العلم الذي من صفاته أنه ينزع إلى القياس الكمي، وبالتالي فإن تباين الخطأ في هذه الدراسات يكون أقل منه عما هو عليه في البحوث الوصفية و التاريخية.

2- أهمية المنهج التجريبيّ في البحوث السيكولوجية والتربوية:

يعدّ البحث التجريبيُ من بين أهم الطرق لبحث المشكلات التربويّة و السيكولوجية، وفي هذا النوع من البحوث يجري تغيير عامل أو أكثر من العوامل ذات العلاقة بموضوع الدراسة بشكلٍ منتظم من أجل تحديد الأثر الناتج عن هذا التغيير، فالباحثُ يحاول إعادة بناء الواقع في موقف تجريبيّ يدخل عليه تغييراً أساسيّاً بشكل متعمّد، ويتضمّن التغيير في هذا الواقع عادة ضبط جميع المتغيّرات التي تؤثِر في موضوع الدراسة باستثناء متغيّر واحد محدّد تجري دراسة أثره في هذه الظروف الجديدة.

ففي هذه البحوث التجريبيّة يقوم الباحثُ بدور فاعل في الموقف البحثيّ يتمثّل في إجراء تغيير مقصود في هذا الموقف وفق شروط محدّدة، ومن ثمّ ملا حظة التغيير الذي ينتج عن هذه الشروط، فإذا رغب باحثٌ ما في تحديد أثر ظرف تعليميّ جديد مثل استخدام طريقة تعليميّة جديدة في تعليم الطلا ّب مهارات معينة، فإنّ الطريقة التعليميّة الجديدة التي يجري تقويمها تسمّى بالمتغيّر المستقل والمحكُ الذي يستخدم لتقويم هذا المتغيّر هو نتائج الطلبة على اختبار أو مقياس لمهارات معيّنة ويسمّى بالمتغيّر التابع، ففي أي تصميم تجريبيّ توجد علاقةٌ مباشرة بين المتغيّرات المستقلة والمتغيّرات التابعة بحيث يسمح التصميم للباحث الافتراض بأنّ أيّ تغيير يحصل في المتغيّر التابع أثناء التجربة يعزى إلى المتغيّر المستقل. كما يمكننا هذا المنهج من إقامة العلاقة بين السبب والنتيجة من خلال إجراء التجربة التي يتم من خلالها معالجة متغير أو أكثر بتغيير محتواه عدة مرات.هذه العملية تسمح بدراسة أثار هذا المتغير (المتغير المستقل) في المتغير الذي يتلقى تأثيره (المتغير التابع). كأن ندرس مثلا تأثير مستويات الضوضاء على مستوى الأداء (من خلال عدد الأخطاء التي يقع فيها عمال ورشة، أو عدد القطع غير الصالحة التي ينتجها العمال الخاضعين لمستويات مختلفة من هذه الضوضاء...).

وحيث أنه من المستحيل الوصول إلى التصميم التجريبيّ المثاليّ في البحث التربويّ أو السيكولوجي؛ إذْ يوجد باستمرار العديد من المتغيّرات العرضيّة المتدخِّلة التي تمارس دورها في التجربة بحيث تؤثِّر في نتائجها، فالقدرة العقليّة والدافعيّة عند الطلا ّب يمكن أن تنتج أثراً ملموساً وغير مرغوب فيه في المتغيّر التابع، كما أن العوامل غير المرغوب فيها المؤثرة في أداء العمال قد تكون من أنواع مختلفة مادية وخارجية (التهوية، الإنارة، الاهتزازات...) أو مرتبطة بالأشخاص المشاركين في التجربة أنفسهم (كالسن، الخبرة على الآلة، التكوين...). و المطلوب في هذه الحالة إذا هو عزل المتغيرات الخارجية والحفاظ على هذه العوامل ثابتة. فبدون ضبط كافٍ لأثر المتغيّرات المتدخِّلة لا يستطيع الباحث أن يؤكِّد ما إذا كان المتغيّر المستقل أم المتغيّرات المتدخِّلة هي المسؤولة عن التغيُّر في المتغيّر التابع.

لكن ورغم الحذر المتخذ لإبعاد كل عامل يمكن أن يتدخل بين المتغير المستقل والمتغير التابع وبالتالي التأثير في النتائج، فإننا سنبقى دائما غير متأكدين من التحكم التام في ذلك (الحالة النفسية، المزاجية مثلا).

فأكبر صعوبة تواجه استخدام المنهج التجريبي في علم النفس هي كثرة العوامل التي تؤثر في الظواهر النفسية، وتعقد هذه العوامل وصعوبة حصرها أو فصلها بعضها عن بعض، وضبط ما يحدث لها من تغييرات، حتى لا يصعب القول في التجارب النفسية أنه يمكننا عزل عامل بذاته (جابر و كاظم، 1996 ، بالتصرف)

ومما تجدر إليه الإشارة هنا إلى أن العوامل الداخلة في الظواهر النفسية أكثر عددا وتداخلا وقابلية للتغير من العوامل الداخلة في الظواهر الطبيعية؛ لهذا فإن الخطأ المحتمل في قياس الظواهر الطبيعية صغير جدا إذ قيس بالخطأ المحتمل حدوثه في قياس الظواهر النفسية، فلا يسمح مثلا بخطأ قدره 1% في تجارب الطبيعة، ولكن مثل هذا الخطأ في قياس ذكاء شخص ما لا يعتبر خطأ جسيما، ذلك لان قدرة الشخص على الأداء في اختبار الذكاء تتأثر بعدد من العوامل التي تختلف باختلاف الموقف والظروف التي يتم فيها الأداء.

3- عملية ضبط المتغيرات في التصاميم التجريبية:

للتقليل من أثار العوامل الخارجية المرتبطة بالتجربة والتحكم في العوامل المتعلقة بالظاهرة السلوكية التي يدرسها الباحث (المتغيرات التجريبية)، وحتى يضمن الباحث ثبات كل العوامل المؤثرة ما عاد العامل الذي يخضع للدراسة و

الفحص، هناك عدة تصاميم تجريبية لعملية الضبط، ولعل أكثرها استخداما هي طرق المجموعات المتكافئة، تعتمد هذه الطريقة لإبقاء جميع العوامل ثابتة ما عدا المتغيّر التابع الذي يسمح له بالتغيُّر استجابة لتأثير المتغيّر المستقلّ، وذلك من خلال إيجاد مجموعتين متماثلتين في التجربة تخضع إحداهما لتأثير المتغيّر المستقلّ أو العامل التجريبيّ موضوع الدراسة، بينما لا تخضع المجموعة الثانية لمثل هذا التأثير، وتكون المجموعتان متماثلتين في بداية التجربة وتخضعان لنفس الظروف تماماً ما عدا تأثير المتغيّر المستقلّ، (عودة؛ ملكاوي، 1992، ص 120-119).

يعدُ ضبط المتغيّرات من الإجراءات المهمّة في البحث التجريبيّ؛ وذلك لتوفير درجة مقبولة من الصدق الداخليّ للتصميم التجريبيّ؛ بمعنى أن يتمكن الباحث من عزو معظم التباين في المتغيّر التابع إلى المتغيّر المستقلّ وليس إلى متغيّراتٍ أخرى وبالتالي تقليل تباين الخطأ، ولذلك تتميّز البحوث التجريبيّة على غيرها من البحوث في الثقة التي يمكن توافرها في تفسير العلاقة بين المتغيّرات وخاصّة العلاقات السببيّة التي تصعبُ دراستها بغير التجربة الحقيقيّة.

ولضبط أثر المتغيّرات الغريبة أو الدخيلة جاءت فكرةُ اختيار مجموعة مكافئة للمجموعة التجريبيّة (مجموعة الدراسة) تسمّى تلك المجموعة المكافئة بالمجموعة الضابطة أو بمجموعة المقارنة؛ حيث يسعى الباحث جاهداً إلى عمل كلّ ما بوسعه أن يعمله من أجل أن يهيئ ظروفاً متكافئـة لكلٍّ من المجموعتين، سواء أكان ذلك عند اختيارهما أم كان عند تنفيذ التجربة حتى يكون الفرقُ الأساسيُّ بين المجموعتين مصدره المتغيّر المستقل في الدراسة، (عودة؛ ملكاوي، 1992، ص 122 -123)، وعموماً هناك عوامل مؤثِرة في الصدق الداخليّ للتجربة تتصل بتاريخها وبنضجها وبموقف اختبارها وبنوعيّة الأداة، وبالانحدار الإحصائيّ، وبالاختبار، وبتفاعل النضج مع الاختبار، وهناك عوامل مؤثِرة في الصدق الخارجيّ للتجربة كتفاعل الاختبار مع المعاملة، وتفاعل الاختيار مع المعاملة، وتفاعل الظروف التجريبيّة مع المعاملة، وتداخل المواقف التجريبيّة، وهناك أنواع للتصاميم التجريبيّة منها تصميم المحاولة الواحدة، وتصميم قبلي - بعدي لمجموعة واحدة، وتصميم المقارنة المثبّت، وتلك العوامل وهذه التصاميم هي ممّا يجب على الباحث في البحث التجريبّي الإلمام بها إلماماً جيّداً ومصادر أساسيّات البحث العلميّ تشرح ذلك بتوسُعات مناسبة، انظر: (عودة؛ ملكاوي، 1992، ص 139-123؛ بدر، 1989، ص 226-219).

وعموماً ففي الدراسات التي تتّخذ الطريقة التجريبيّة منهجاً لا بدّ أن يسأل الباحثُ نفسه دائماً الأسئلةَ الثلاثة (فودة؛ عبد الله، 1991، ص39) الآتي-ة:

1) هل التصميم الذي وضعه يساعد على اختبار فرضيّاته؟.

2) هل استطاع ضبط جميع العوامل الأخرى المؤثِّرة في تجربته؟.

3) هل يمكن إعادة التجربة من قبل باحث آخر؟.

المحاضرة الثانية عشر: المنهج الوصفي

تمهيد:

يهتم المنهج الوصفي بدراسة الظاهرة النفسية و تصويرها كميا وكيفيا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة و تصنيفها و تحليلها و إخضاعها للدراسة الدقيقة. و يتناول المنهج الوصفي الظاهرة النفسية (مثل القلق، الخوف، التسلط، ا لانطوائية، العدوانية) من خلال جمع أوصاف علمية كمية وكيفية عن الظاهرة المدروسة كما تحدث في وضعها الطبيعي، دون أن يتدخل فيها الباحث، من أجل توضيح العوامل المتسببة فيها، والنتائج المترتبة عليها.

1- أهمية المنهج الوصفيُ في البحوث السيكولوجية والتربوية:

يعد المنهج الوصفي من أكثر مناهج البحث العلمي استخداما من قبل السيكولوجيين والتربويين، فهو يحظي بمكانة خاصة في مجال البحوث السيكولوجية و التربوية ، حيث إن نسبة كبيرة من الدراسات السيكولوجية المنشورة هي وصفية في طبيعتها، كما أن المنهج الوصفي يلائم العديد من المشكلا ت السيكولوجية أكثر من غيره. فالدراسات التي تعنى بتقييم الاتجاهات، أو تسعى للوقوف على وجهات النظر، أو تهدف إلى جمع البيانات الديموغرافية عن الأفراد، أو ترمي إلى التعرف على ظروف العمل ووسائله، كلها أمور يحسن معالجتها من خلال المنهج الوصفي. والمنهج الوصفي ليس سهلا ً، كما قد يبدو، فهو يتطلب أكثر من مجرد عملية وصف الوضع القائم للأشياء. إنه ككل مناهج البحث الأخرى يتطلب اختيار أدوات البحث المناسبة والتأكد من صلاحيتها، وكذلك الحرص في اختيار العينة والدقة في تحليل البيانات والخروج منها بالاستنتاجات المناسبة (عدس، 1999، ص101). ويقوم المنهج الوصفي بالبحث عن أوصاف دقيقة للظاهرة المراد دراستها عن طريق مجموعة من الأسئلة وهي:

ـ ما الوضع الحالي لهذه الظاهرة ؟ .

ـ من أين نبدأ الدراسة ؟.

ـ ما العلاقات بين الظاهرة المحدودة و الظواهر الأخرى ؟

ـ ما النتائج المتوقعة لدراسة هذه الظاهرة ؟.

و الإجابة عن هذه الأسلة تتم من خلال جمع الحقائق والبيانات الكمية أو الكيفية عن الظاهرة المحددة مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا. ولا يقتصر المنهج الوصفي علي جمع البيانات والحقائق وتبويبها وتصنيفها ، بل يشمل با لإضافة إلي هذا محاولة تفسير هذه النتائج ؛ ولذلك غالبا ما يقترن الوصف بالمقارنة (عوض وآخرون، 2002، ص 97).

وعلى العموم يمكن القول أن البحوث الوصفية أمر لا غنى عنه في العلوم السيكولوجية والتربوية لأنها في هذا المجال تحقق هدفين أساسيين هما:

1- تزويد العاملين في مجالات الاجتماعية والتربوية والنفسية بمعلومات حقيقية عن الوضع الراهن للظاهرات المنوعة التي يتأثرون بها في عملهم ومثل

هذه المعلومات ذات قيمة عملية قد تؤيد ممارسات قائمة، أو ترشد إلى سبل تغييرها نحو ما ينبغي أن يكون، وهذا هو الهدف التطبيقي.

2- الهدف العلمي حيث تقدم هذه الدراسات من الحقائق والتعميمات ما يضيف إلى رصيدنا من المعارف مما يساعد على فهم الظواهر والتنبؤ بحدوثها.

كما أن كثيراً من الظاهرات النفسية والتربوية والاجتماعية لا يمكن إخضاعها للتجريب المعملي ومن هنا تجئ أهمية الدراسات الوصفية التي تجرى في المصانع و المدارس والمتاجر والأندية والبيوت (جابر ، وخيري، 1996، ص 187).

2- خصائص المنهج الوصفي و مرتكزاته:

يعدُ المنهج الوصفيُ من أكثر مناهج البحث العلميّ استخداماً من قبل السيكولوجيين و التربويّين؛ لذلك فإنه وبالإضافة إلى ما ورد عنه في فقراتٍ سابقة يحسن إبراز أهم خصائصه بالآتـي:

أنه يقدم معلومات وحقائق عن واقع الظاهرة الحالية، و يوضح العلاقة بين الظواهر المختلفة، كما أنه يساعد في التنبؤ بمستقبل الظاهرة نفسها.

1) أنه يبحث العلاقة بين أشياء مختلفة في طبيعتها لم تسبق دراستها، فيتخيّر الباحث منها ما له صلة بدراسته لتحليل العلاقة بينها.

1) أنه يتضمّن مقترحاتٍ وحلولا ً مع اختبار صحّتها.

3) أنه كثيراً ما يتمُ في هذا المنهج استخدام الطريقة المنطقيّة (الاستقرائيّة، الا ستنتاجية) للتوصّل إلى قاعدة عامّة.

4) أنه يطرح ما ليس صحيحاً من الفرضيّات والحلول.

5) أنه يصف النماذج المختلفة والإجراءات بصورة دقيقة كاملة بقدر المستطاع بحيث تكون مفيدةً للباحثين فيما بعد، (أبو سليمان، 1993، ص33).

ويرى الباحثون أن البحوث الوصفية ترتكز على خمسة أسس رئيسة تتمثل في الآ تي:

- أنه يمكن الاستعانة بمختلف الأدوات المستخدمة للحصول على البيانات بشكل

دقيق وواضح كاستخدام الملاحظة والمقابلة والاستبيان وتحليل الوثائق والسجلات، بصورة منفردة أو من خلال استخدام أدوات أخرى مرافقة.

- تهدف البحوث الوصفية أساساً إلى وصف وتحديد كمي لخصائص الظواهر موضوع البحث، فإنه لا بد من أن يكون هناك اختلاف في مستوى عمل تلك الدراسات. بينما يسعى البعض منها إلى مجرد وصف الظاهرة وصفاً كمياً أو كيفياً دون دراسة الأسباب التي أدت إلى ظهور المشكلة أو الظاهرة موضوع البحث.

- تعتمد الدراسات الوصفية على اختيار عينات ممثلة للمجتمع الذي تؤخذ منه، وذلك توفيراً للجهد والوقت ولغيرها من تكاليف البحث.

-لا بد من اصطناع التجريد خلال البحوث الوصفية حتى يمكن تمييز سمات الظاهرة موضوع البحث وخصائصها، خاصة وأن الظواهر في مجال العلوم الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد الشديدين.

ولما كان التعميم مطلباً ضرورياً للدراسات الوصفية حتى يمكن من خلاله استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة موضوع البحث، فإنه لا بد من تصنيف الوقائع أو الظواهر على أساس معيار محدد (ملحم، 2002، ص353).

3- أنواع الدراسات الوصفية:

لا يوجد اتفاق بين الكتاب حول كيفية تصنيف الدراسات الوصفية، وبالرغم من عدم اتفاق الباحثين على أشكال ونماذج محددة للدراسات الوصفية، إلا أنه يمكن تحديد بعض الأنماط التالية للدراسات الوصفية: (ملحم، 2002، ص 355)

3-1- الدراسات المسحية

يتضمن البحث المسحي جمع بيانات لاختبار فروض معينة أو الإجابة على أسئلة تتعلق بالحالة الراهنة لموضوع الدراسة، إذ تحدد الدراسة المسحية الوضع الحالي للأمور. وقد يبدو البحث المسحي بسيطاً جداً، إلا أنه في واقع الأمر أكثر من مجرد توجيه بعض الأسئلة أو تحديد الإجابات عليها. إذ نظراً لأن الباحث كثيراً ما يستخدم أدوات لم يسبق استخدامها فعليه أن يبني الأدوات التي تصلح لبحثه، وهذه تتطلب وقتاً ومهارة. وهناك مشكلة أساسية تؤدي إلى تعقيد البحث المسحي، وربما إضعافه، وهو نقص ردود أفراد العينة، أي عدم قيام الأفراد بإرجاع الاستبيانات

أو الذهاب إلى المقابلات المحددة. وإذا كان معدل الردود منخفضاً، فإنه لا يمكن الخروج بنتائج صادقة من البحث (أبو علام،2001 ، ص88).

كثيراً ما يقوم أناس من ميادين كثيرة بدراسات مسحية، عندما يحاولون حل المشكلات التي تواجههم، فيجمعون أوصافاً مفصلة عن الظاهرات الموجودة بقصد استخدام البيانات لتبرير الأوضاع أو الممارسات الراهنة، أو لوضع خطط أكثر ذكاء لتحسين الأوضاع والعمليات الاجتماعية أو التربوية... (فاندلين، 1994، ص297).

وتشمل الدراسات المسحية أنماطاً مختلفة مثل: .(ملحم، 2002، ص356 -357 ، حلس، د.ت، ص 158)

1- المسح المدرسي: ويتعلق بدراسة المشكلات المتعلقة بالميدان التربوي بأبعاده المختلفة، مثل: المعلمون، والطلبة، ووسائل التعليم، وأهداف التربية، والمناهج الدراسية... وغيرها.

2- المسح الاجتماعي: ويتعلق بدراسة الظاهر والأحداث الاجتماعية التي يمكن جمع بيانات رقمية (كمية) عنها، ويمثل هذا النوع من الدراسات وسيلة ناجحة في قياس أو إحصاء الواقع الحالي من أجل وضع الخطط التطورية في المستقبل.
3- دراسات الرأي العام: وتتعلق بتعبير الجماعة عن آرائها ومشاعرها وأفكارها ومعتقداتها نحو موضوع معين في وقت معين.
4- تحليل العمل: ويتعلق بدراسة المعلومات والمسؤوليات المرتبطة بعمل معين، بحيث يقدم وصفاً شاملا ً عن الواجبات والمسؤوليات والمهام المرتبطة بهذا العمل.
5- تحليل المضمون: ويبحث في اتجاهات الجماعات والأفراد بطريقة غير مباشرة من خلال كتاباتها وصحفها وآدابها وفنونها وأقوالها وملابسها وعمارتها والوثائق المرتبطة بموضوع البحث.

2-3- دراسات العلاقات المتبادلة

لا يقنع بعض الباحثين الوصفيين بمجرد الحصول على أوصاف دقيقة للظاهرات السطحية. فهم لا يجمعون فقط معلومات عن الوضع القائم ولكن يسعون أيضاً إلى تعقب العلاقات بين الحقائق التي حصلوا عليها، بغية الوصول إلى بعد أعمق بـ الظاهرات. (ملحم، 2002 ص ،356 -357).

تهتم هذه الدراسات بدراسة العلاقات بين الظواهر وتحليل الظواهر والتعمق بها لمعرفة الارتباطات الداخلية في هذه الظواهر والارتباطات الخارجية بينها وبين الظواهر الأخرى. وتوجد ثلاثة أنماط من هذه الدراسات: دراسات الحالة، الدراسات السببية المقارنة، والدراسات الارتباطية.

3-2-1- دراسة الحالة:

برزت أهمية دراسة الحالة في ميادين الخدمة الاجتماعية والعلاج النفسي وا لإدارة والاقتصاد وغيرها من العلوم. واحتلت مكاناً بارزاً بين وسائل جمع البيانات. ولعل السبب في ذلك أنها تعتبر أقدم الوسائل التي استخدمت لوصف وتفسير الخبرات الشخصية والسلوك الاجتماعي للفرد (ملحم ، 2002، ص373). و تمثل دراسة الحالة نوعاً من البحث المتعمق عن العوامل المعقدة التي تسهم في فردية وحدة اجتماعية ما، فعن طريق استخدام عدد من أدوات البحث تجمع البيانات الملا ئمة عن الوضع القائم للوحدة وخبراتها الماضية وعلاقاتها مع البيئة. وطبيعة دراسات الحالة هو أن يدرس الأخصائيون الاجتماعيون والموجهون النفسيون عادة شخصية فرد ما، بقصد تشخيص حالة معينة وتقديم توصيات بالإجراءات العلاجية. قد تأتي بيانات دراسة الحالة من مصادر متعددة، فقد يحصل الباحث على شهادة شخصية من المفحوصين، بأن يطلب منهم في مقابلات أو استمارات استرجاع خبرات سابقة متنوعة (فاندلين، 1994، ص313-314).

* تعريف دراسة الحالة:

هناك تعريفات عديدة لدراسة الحالة، خاصة وأن عدداً من الباحثين يشير إلى أن دراسة الحالة منهج في البحث الاجتماعي يمكن عن طريقة جمع البيانات ودراستها بحيث نستطيع أن نرسم من خلالها صورة كلية لوحدة معينة في العلاقات والأوضاع الثقافية المتنوعة، كما تعتبر في الوقت نفسه تحليلا ً دقيقاً للموقف العام للفرد. و يمكن تعريف دراسة الحالة (أو تاريخ الحالة كما يسميها بعض الباحثين) على أنه: أداة قيمة تكشف لنا وقائع حياة شخص معين منذ ميلاده وحتى الوقت الحالي.

وتهدف دراسة الحالة إلى إلقاء الضوء على العمليات والعوامل والمظاهر التي يقوم عليها نموذج الحالة سواء كان شخصاً أو أسرة أو جماعة. و التعرف على أبعاد

مشكلة معينة بها من أجل تهيئة الظروف الملائمة لإجراء بحث أكثر شمولا ً على الحالة نفسها.

وتشتمل بطاقة دراسة الحالة على مجموعة من البيانات والمعلومات. و تعتمد على وسائل متعددة موضوعية وذاتية في جمعها، وقد تختلف البيانات في مجملها من بطاقة دراسة حالة إلى بطاقة أخرى (ملحم، 2002، ص 374).

2-2-3- الدراسات السببية المقارنة

هناك نوع آخر من البحوث الوصفية يحاول أن يتوصل إلى إجابات عن مشك لات خلال تحليل العلاقات السببية. فيبحث عن العوامل التي ترتبط بوقائع وظروف أو أنماط سلوك معينة، وذلك لأن الباحث يجد أنه من غير العملي في كثير من الحالا ت أن يعيد ترتيب الوقائع والتحكم في وقوعها. والطريقة الواحدة المتوفرة لديه هي تحليل ما يحدث فعلا ً لكي يتوصل إلى الأسباب والنتائج. (جابر و خيري، 1996، ص173).

بمعنى آخر تحاول بعض الدراسات الوصفية ألا تقتصر على الكشف عن ماهية الظاهرية، ولكن - إذا كان ممكناً - كيف ولماذا تحدث هذه الظاهرة، أنها تقارن جوانب التشابه والاختلاف بين الظاهرات لكي تكشف أي العوامل أو الظروف يبدو أنها تصاحب أحداثاً أو ظروفاً أو عمليات أو ممارسات معينة. وتكشف معظم الدراسات الوصفية فقط عن حقيقة وجود علاقة ما، إلا أن بعض الدراسات يتعمق أكثر بهدف معرفة ما إذا كانت هذه العلاقة قد تسبب الحالة أو تسهم فيها أو تفسرها. (فاندلين، 1994، ص 316).

و تركز هذه الدراسات على إجراء المقارنات بين الظواهر المختلفة لاكتشاف العوامل التي تصاحب حدثاً معيناً، وتفسيرها من أجل فهم تلك الظواهر أو الأحداث، والبحث الجاد عن أسباب حدوثها عن طريق إجراء المقارنات واكتشاف العوامل التي تصاحب حدثاً معيناً أو ظاهرة معينة (ملحم، 2002، ص 282).

*** تنفيذ الدراسات السببية المقارنة:**

يبدأ البحث السببي المقارن في محاولة الباحث مقارنة الأوضاع القائمة للمجموعات الداخلة في الدراسة بالنسبة لعدد محدد من المتغيرات. فإذا تبين له وجود فروق معنوية بين هذه المجموعات على أي من متغيرات الدراسة، فإنه يسعى

حينئذ إلى الكشف عن الأسباب التي تقف وراء هذه الفروق عن طريق المقارنة بين هذه المجموعات بالنسبة لتلك المتغيرات. وبناءً على ذلك فإن البحث السببي المقارن يستخدم الأساليب التالية في الدراسة:

- **التصميم والإجراءات:** يتضمن تصميم البحث العلمي المقارن المقارنة بين مجموعتين مختلفتين بالنسبة للأفراد بالنسبة لمتغير مستقل، ومن ثم العمل على مقارنتها بالنسبة لمتغير تابع.
- **وسائل الضبط:** يسعى الباحث في الدراسات العلية المقارنة إلى ضبط المتغيرات الدخيلة من خلال مجموعة من طرق الضبط التالية:
- **التكافؤ:** ونعني به أسلوب ضبط يستخدم في أحوال كثيرة في الدراسات التجريبية، بأن يقوم الباحث باختيار أفراد مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة على شكل أزواج متناظرة بالنسبة للمتغير الدخيل، بحيث يكون لكل من الفردين في الزوج الواحد نفس المتغير المراد ضبطه.
- **مقارنة المجموعات المتجانسة الكلية والجزئية:** وتتمثل هذه الطريقة باختيار أفراد مجموعات الدراسة من قطاعات متجانسة من الأفراد إلى يشتركون في نفس المتغير المراد ضبطه.
- **تحليل التباين المشترك:** يعد تحليل التباين المشترك أحد الأساليب الإحصائية التي تستخدم من أجل إضفاء التكافؤ على مجموعات الدراسة بالنسبة لمتغير واحد أو أكثر، وذلك بإدخال تعديلات على العلامات الخاصة بالمتغير التابع استناداً إلى الفروق التي تظهر ابتداء بين مجموعات الدراسة بسبب تأثير متغير دخيل أو أكثر، ويمكن الاستعانة بالحاسب الآلي للقيام بالعمليات الإحصائية اللازمة لذلك (ملحم، 2002، ص 384).

2-2-3- الدراسات الارتباطية:

تصنف البحوث الارتباطية ضمن البحوث الوصفية أحياناً لأنها تصف الحالة الراهنة، ومع هذا تختلف البحوث الارتباطية عن البحوث الوصفية في أن الحالة التي تصفها ليست كالحالة التي يجري وصفها في تقارير الذات أو دراسات الحالة التي تعتمد عليها البحوث الوصفية، فالبحوث الارتباطية تصف درجة العلاقة بين المتغيرات وصفاً كمياً، لأن الغرض من جمع البيانات تحديد الدرجة التي ترتبط بها متغيرات كمية بعضها بالبعض الآخر (أبو علام، 2001، ص 379).

تهتم هذه الدراسات بالكشف عن العلاقات بين متغيرين أو أكثر لمعرفة مدى ا لارتباط بين هذه المتغيرات والتعبير عنها بصورة رقمية. حيث تتناول عادة مجموعة من المتغيرات التي يظن أنها مرتبطة مع متغير رئيسي مركب. فإذا وجد أن بعض هذه المتغيرات قليل الارتباط مع المتغير الرئيسي، فإنه يتم حذفه من الدراسات اللا حقة. أما المتغيرات التي يتضح أن لها علاقة مرتفعة، فيمكنها أن تؤدي إلى دراسات سببية مقارنة أو تجريبية (ملحم، 2002، ص 377) .

ويحاول البحث الارتباطي تحديد ما إذا كان هناك ارتباط بين متغيرين كميين أو أكثر، ودرجة هذا الارتباط. والغرض من البحث الارتباطي تحديد وجود علاقة (أو عدم وجود علاقة) بين المتغيرات موضوع الدراسة. أو استخدام العلاقات الا رتباطية في عمل تنبؤات. والدراسة الارتباطية تتناول عادة عدداً من المتغيرات التي يعتقد أنها ترتبط بمتغير رئيسي معقد مثل التحصيل الدراسي. و تستبعد من الدراسة تلك المتغيرات التي لا ترتبط ارتباطاً عالياً بالمتغير الرئيسي، وتستبقي المتغيرات التي تظهر ارتباطاً عالياً، فقد يرغب الباحث في القيام بدراسات أخرى لتحديد مدى وجود علاقات سببية بين المتغيرات وذلك باستخدام البحوث التجريبية. مثال ذلك: إن وجود علاقة بين مفهوم الذات والتحصيل الدراسي لا يعني أن مفهوم الذات "يسبب" أو "يؤدي" إلى تحصيل دراسي مرتفع، أو أن التحصيل الدراسي "يسبب" مفهوم الذات. و بغض النظر عن أن علاقة ما تعني وجود علاقة علة ومعلول، فإن الارتباط المرتفع، يسمح بالتنبؤ. مثال ذلك أن الارتباط المرتفع بين درجات الطلبة في الثانوية العامة ودرجاتهم في الجامعة، قد يعني القدرة على التنبؤ من درجات الثانوية العامة بالأداء في الجامعة. ويعبر عن العلاقة بين متغيرين بمعامل الارتباط الذي تتراوح قيمته بين صفر و ± 1,00، وإذا لم يكن هناك ارتباط بين المتغيرين كان معامل الارتباط صفراً، أما إذا كان الارتباط تاماً تبلغ قيمة الارتباط +1 أو - 1، وحيث إن من النادر أن يكون الارتباط تاماً، فإن التنبؤ نادراً ما يكون تاماً، ومع ذلك فبالنسبة لكثير من القرارات، فإن التنبؤ الذي يستخدم علا قات بين المتغيرات كثيراً ما يؤدي إلى قرارات مفيدة (أبو علام ،2001، ص 86) .

على العموم يمكن القول أن البحث الارتباطي هو ذلك البحث الذي يعمل على جمع البيانات من عدد من المتغيرات وتحديد ما إذا كانت هناك علاقة بينها، و إيجاد قيمة تلك العلاقة والتعبير عنها بشكل كمي من خلال ما يسمى بمعامل الارتباط.

*** تحليل نتائج البحث الارتباطي وتفسيرها:** تنحصر نتائج البحث الارتباطي بوجود قيمة ترابطية بين متغيرين اثنين أو عدم وجود تلك القيمة:

- يعبر عن هذه القيمة عادة بكسر عشري تقع قيمته بين (0)، و(+1) وعندئذ تكون العلاقة بين المتغيرين طردية، وهذا يشير إلى أن المتغيرين المعنيين يتغيران في نفس الاتجاه الواحد زيادة أو نقصاناً.
- قد يعبر عن القيمة بكسر عشري تقع قيمته بين (0)، (-1) وفي هذه الحالة تكون العلاقة بين المتغيرين عكسية، مما يشير إلى أن المتغيرين يتغيران باتجاهين متعاكسين، بحيث إذا زاد أحدهما نقص الأخر.
- عندما يكون معامل الارتباط صفراً: ف'ن العلاقة بين المتغيرين تكون معدومة، وإن التغير في أحدهما لا تحكمه صلة بالتغير في الآخر.

و يعتمد تفسير نتائج البحث في الدراسات الارتباطية على الهدف الذي يستخدم من أجله هذا النوع من الدراسات، وهذا يحدد بالطبع مستوى القيمة التي يجب أن يصل إليها معامل الارتباط بين المتغيرين حتى يمكن اعتباره مفيداً.

و في حالة الدراسات التي تصمم لاختبار صحة الفرضيات الخاصة بمعاملات الارتباط، فإن كل ما يتم التأكد منه هو كون تلك المعاملات معنوية أم لا. وفي هذه الحالة ليس بالضرورة أن تكون قيم معاملات الارتباط مرتفعة، ولكن تكون أعلى من الصفر.

أما عندما يكون الغرض من معاملات الارتباط استخدامها لغايات التنبؤ. فيشير الباحثون هنا إلى ضرورة توفر معاملات ارتباط عالية يمكن الاعتماد عليها ولا يكتفي بأن تكون معنوية فقط (ملحم، 2002، ص381 - 382).

3-3- دراسات النمو والتطور:

تهتم دراسات النمو بالتغيرات التي تحدث كوظيفة للزمن، وهذا النوع من الدراسات له نتائج بعيدة المدى في الحقل التربوي. ويمكن أن تكون دراسات النمو كيفية وكمية، ولقد كانت الدراسات الرائدة التي قام بها جيزل عن نمو المهارات الحركية وا لإدراكية عند الأطفال، وكذلك الدراسات التي قام بها بياجيه وزملاؤه في أساسها دراسات كيفية وصفية.(ملحم، 2002، ص381 - 382).

ويدرس النمو الإنساني بطريقتين: الطريقة الطولية والطريقة المستعرضة. ففي الطريقة الطولية يحاول الباحث أن يتتبع مجموعة من الأطفال خلال نموها أي أنه يدرس نفس الأطفال في أعمار مختلفة، وهو يبذل الجهد ليحافظ على الاحتكاك والا تصال بأعضاء المجموعة الأصلية. وهو يحاول أن يحدد أنماط نموهم الفردية في الجوانب التي يتناولها بالملاحظة والدراسة والقياس. أما في الطريقة المستعرضة فإن الباحث يقوم بإتمام دراسته دون أن ينتظر الأفراد حتى يكبروا أي أنه بدلا ً من أن يكرر ملاحظة ودراسة نفس المجموعة من الأفراد يقوم بملاحظة مجموعات مختلفة، وكل مجموعة مستقاة من مستوى عمري معين ثم تدرس البيانات المتجمعة من هذه المجموعات للتوصل إلى الأنماط العامة للنمو في كل جانب من جوانبه (جابر و خيري، 1996، ص 183- 184).

وللدراسات النمائية حدود زمنية فهي تجري ضمن فترات زمنية قصيرة ولا تستمر طويلا ً بالنظر إلى العلاقة بين عمر الباحث والعمر الذي يعيشه أفراد عينة البحث. وكذلك ضمن حدود عددية، فهي تجري على عينة صغيرة نسبياً خاصة ما يتعلق منها بالدراسات النمائية الطولية، مقارنة بأساليب البحث الأخرى التي تختار عينات أكبر بكثير من عينات الدراسات النمائية.

ويؤخذ على الدراسات النمائية أنها: تتطلب وقتاً طويلا ً بحيث لا يتسع المجال لكثير من الباحثين الاستمرار في البحث بهذا النوع من الدراسات حتى نهايتها. قد تتغير أساليب الدراسة وتتطور، ويكشف الباحث أساليب جديدة قد تكون أكثر دقة من الأساليب الأخرى، فيغير الباحث من نظرته للأسلوب النمائي إلى أسلوب آخر يجد فيه ضالته (ملحم، 2002، ص ،388).

4- الانتقادات الموجهة للمنهج الوصفي :

على الرغم من المزايا التي يتميز بها الأسلوب الوصفي في البحث، فقد وجهت إليه الكثير من الانتقادات، نذكر منها:

* أن الباحث الذي يستخدم الأسلوب الوصفي في البحث قد يعتمد على معلومات خاطئة من مصادر مختلفة.
* قد يتحيز الباحث خلال جمعه للبيانات والمعلومات إلى مصادر معينة تزوده ببيانات ومعلومات تخدم وجهة نظره ويرغب بها.

* تجمع البيانات والمعلومات في البحوث الوصفية من الأفراد الذين يمثلون أفراد عينة الدراسة موضوع البحث، وهذا يعني أن عملية جمع المعلومات تتأثر بتعدد الأ شخاص واختلاف آرائهم حول موضوع البحث.
* إن قدرة الدراسات الوصفية على التنبؤ تبقى محدودة، وذلك لصعوبة الظاهرة الا جتماعية وسرعة تغيرها (ملحم، 2002، ص 353-354).

المحاضرة الثالثة عشر: المنهج العيادي

تمهيد:

يهتم المنهج العيادي أساسا بالحالات الفردية، بمعنى دراسة الفرد كحالة مستقلة لها ماضيها وحاضريها، ولها تطلعاتها بالنسبة للمستقبل أيضا.

لقد بدأ استخدام هذا المنهج أساسا في تشخيص الأمراض النفسية ومظاهر الا نحراف ووصف العلاج لها، ثم امتد ليشمل الدراسات العميقة للحالات الفردية بصفة عامة والوصول على تفسيرات لها مستمدة من الواقع الحي الذي تمثله.

لذلك فقد استفاد المنهج الإكلينيكي كثيرا من علم الأمراض النفسية psycho-pathology عن طريق دراسة الحالات التي تعرض لها ومواجهتها ومساعدتها على التعبير عن نفسها، وتصور حياتها وسلوكها.

و الحقيقة أن دراستها بقصد إيجاد هذا الحل يعطي في الواقع صورة حية للحياة الإنسانية بما فيها من أنواع مختلفة من الصراع والانحراف والمحاولات اليائسة للتخلص من أسباب سوء التكيف ومحاولة استعادته، ويساعد على زيادة التعرف على طبيعة هذه الحياة وفهمها.

1- خصائص المنهج الإكلينيكي:

- الاهتمام بالفرد ككل: فهو لا يعنى ببعض مظاهر السلوك دون الأخرى، ولا يحاول تقسيم السلوك إلى مظاهر عديدة أو عوامل يحاول أن يعزلها بعضها عن بعض ليتناول إحداها أو بعضها بالدراسة كما هو الحال في المنهج التجريبي. وإنما يهتم بكل ما يبدو من الفرد كحالة متكاملة، فيدرسها بالتفصيل ويعالج كل الظواهر المتعلقة بها، سواء منها ما يتصل بالفرد نفسه وعوامله الذاتية أو بالظروف المحيطة به التي يعيش فيها وتؤثر فيه.

- الاهتمام بالطبقات العميقة واللاشعور (أو ما يعرف بسيكولوجية الأعماق): لا يهتم هذا المنهج بالعوامل الظاهرة من السلوك بقدر ما يهتم بالطبقات العميقة والعوامل الكامنة، ولذلك فهو يعطي أهمية خاصة للعمليات اللاشعورية ويرى أنها هي المسؤولة في الغالب عن السلوك الظاهري للإنسان.

والتعرف على هذه الدوافع اللاشعورية والعمليات التي تدور بعيدا داخل الإنسان من الأمور الهامة التي لا يمكن فهم سلوك الإنسان على حقيقته إلا على ضوء فهمها، وعلى ضوء توضيح العلاقة بينها وبين السلوك الظاهر للإنسان.

- دينامية الشخصية: يهتم هذا المنهج أيضا بالتصور الدينامي للشخصية، الذي يقوم على أساس تصور الصراع بين نزعات الانسان ورغباته وبين متطلبات العالم الخارجي. وهذا الصراع قد يكون شعوريا وقد يكون لاشعوريا (الصراع بين الأنا وهو المتصل بعالم الواقع –العالم الخارجي-اتصالا مباشرا ويحتك به بتقاليده و مبادئه وما فيه من مثيرات ومغريات، ومن ناحية أخرى يتعرض للنزعات الغريزية التي تريد أن تعبر عن نفسها والتي يمثلها الهو، واتي تجد في هذا العالم الخارجي ومغرياته ما يثيرها باستمرار ومن ثمّ تضغط على الأنا، ومن جهة ثالثة تتعرض الأنا لرقابة الأنا الأعلى وتشديدها وتأنيبها وحاولتها منع الأنا من إرضاء الرغبات الغريزية والاستجابة لمغريات العالم الخارجي، فمهمة الأنا إذن هو الحصول على حالة اتزان مع القوتين الأخرتين، فيسمح للنزعات والدوافع الغريزية بأن تعبر عن نفسها بشكل يتفق مع تقاليد العالم الخارجي وقوانينه وبشكل ترضى عنه الأنا الأعلى أيضا، ويتم حدوث هذا الاتزان عن طريق مجموعة من الأساليب والحيل أغلبها لا شعوري).

- الاهتمام بتاريخ الفرد: يرى أصحاب هذا المنهج كذلك أن أسلوب الفرد الراهن لا يمكن فهمه إلا على ضوء تاريخ حياة الفرد كلها. فكثيرا ما تلقى حياة الطفولة وتتبع ما يحدث للطفل خلال مراحل حياته المتتالية الضوء على كثير من مظاهر السلوك التي تتصل بالحاضر. فمن خلال هذا المنهج يتعرف الباحث على: تاريخ الحالة للفرد

والظروف التي عاشها، ويستخدم معه الاختبارات النفسية الإسقاطية وغيرها للتعرف على أعماق الفرد (جابر و خيري، 1996).

2- مبررات استخدام المنهج الاكلينيكي

1 - وجود حدود للتجريب في المجال الإنساني: مما يقلل الظواهر النفسية التي تخضع للتجريب.

2 – كرامة الانسان: فنحن لا نستطيع أن نعرض الإنسان لصدمة نفسية شديدة لنرى أثرها على نفسيته، أو نطلب من زوجين الانفصال لنرى أثر ذلك على الأولاد، لكن الظروف البيئية والاجتماعية تمدنا بشكل تلقائي بحالات كثيرة تعرضت لصدمة نفسية شديدة. وفي هذه الحالات نرى أن المنهج الإكلينيكي هو أفضل المناهج لدراسة تلك الظاهرة.

3- الانتقادات الموجهة للمنهج الإكلينيكي (العيادي)

هناك عدة انتقادات تتعلق بمحدودية استخدام المنهج العيادي في مجال البحث، تتمثل أهمها في ما يلي:

1- يتطلب كفاءة عالية من جانب الباحث وخبرة واسعة وبصيرة نافذة، وهذا غير متوفر في كثيرين.

2 - لا توجد ضوابط محددة له مما يسمح بالذاتية تؤثر على نتائجه.

3 - هذا المنهج يتطلب جهداً ووقتاً كبيرين لذا لا يستطيع الباحث التعامل مع عينة كبيرة من الأفراد.

4- ملاحظات عامة عن مناهج البحث:

مهم كانت دوافع الباحث في اختيار المنهج المناسب في بحوثه السيكولوجية، فإن عليه أن يتقيد ببض الشروط، والتي نوجزها في ما يلي:

1- اختيار الباحث لمنهج دون غيره يتوقف بشكل أساسي على طبيعة الظاهرة قيد البحث.

2 - بعض الظواهر قد يصلح أكثر من منهج لدراستها.

3 - اختيار الباحث للمنهج لا يرتكز فقط على مدى مناسبته للظاهرة المدروسة، ولكن ينبغي أن يجيد الباحث استخدامه أيضا، (فقد تكون نتائج استخدام المنهج الإ كلينيكي دقيقة، ولكن عدم قدرة الباحث على استخدامه قد يجعل النتائج مغلوطة وضرره أكثر من نفعه).

4 - على الباحث أن يوضح بالتفصيل الخطوات التي اتبعها في بحثه للتأكد من علمية وجدية ومنطقية النتائج.

5 - على الباحث أن يتحلى بالدقة والنزاهة دون تعصب لوجهة نظر معينة.

6 - عينة البحث كلما كانت كبيرة كلما كانت النتائج أفضل.

7 - لا غنى لبرامج الكومبيوتر وعلم الإحصاء في البحث العلمي، لذا على الباحث أن يكون على دراية بها.